

# الكتاب المقدس عطية الله لنا:

## مبادئ علم التفسير

الدرس  
العاشر

الحضارة الكتابية والتطبيق المعاصر



خدمات الألفية

الثالثة

تعليم كتابي للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

### حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة 1997، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائلٍ إعلاميةٍ متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنْتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

## المحتويات

### I. المقدمة

### II. الأساسيات

أ. الأهمية

ب. نموذجان متعارضان

ج. التنوع

### III. التطورات

أ. الأهمية

ب. نموذجان متعارضان

ج. التنوع

### IV. التطبيق

أ. الأهمية

ب. نموذجان متعارضان

ج. التنوع

### V. الخاتمة

# الكتاب المقدس عطية الله لنا:

## مبادئ علم التفسير

### الدرس العاشر

#### الحضارة الكتابية والتطبيق المعاصر

##### المقدمة

بين حينٍ وآخر، يسمعُ كلُّ مَنْ يُعَلِّمُ الكتابَ المُقدَّسَ أحداً يسأل: "أليس هذا الجزء من الكتاب المُقدَّس متعلقٌ بثقافتهِ فحسب؟" وما يقصدونه عادةً، هو أن بعضَ أجزاءِ الكتاب المُقدَّس هي جزءٌ لا يتجزأٌ إطلاقاً، من الثقافاتِ القديمة للعصورِ الكتابية، بحيث، لا يمكنُ تطبيقُها علينا اليوم. وهكذا، غالباً ما يقضي المؤمنون الكثيرَ من الوقت، في محاولةٍ للتمييز بين المقاطع الكتابية "الثقافية"، والمقاطع التي تنطبقُ على الحياة المعاصرة.

سنطرحُ في هذا الدرس منظوراً مختلفاً. فعوضاً عن النظرِ إلى مقاطعٍ من الكتاب المُقدَّس، على أنها إما ثقافية أو قابلة للتطبيق، سنرى أن كلَّ جزءٍ في الكتاب المُقدَّس يختص بثقافته، وكذلك قابلٌ للتطبيق أيضاً. حيثُ يعكسُ الكتابُ المُقدَّس بكامله، السياقَ الثقافي القديم، لكنّه لا يزالُ كلمةً الله التي ينبغي تطبيقُها بطريقةٍ أو بأخرى على الجميع، بغضِّ النظر عمّن نكون، أو المكان أو الزمان الذي نعيش فيه.

هذا هو الدرس العاشر في سلسلتنا *الكتاب المقدس عطية الله لنا: مبادئ علم التفسير*. وقد أعطينا هذا الدرس العنوان "الحضارة الكتابية والتطبيق المعاصر". سنستكشف في هذا الدرس الكيفية التي بها ينبغي للأبعاد الحضارية والثقافية في الكتاب المُقدَّس أن تؤثر في تطبيقنا للكتاب المُقدَّس على عالمنا المعاصر. كما قلنا في دروس سابقة، فإننا حين نرغب بتطبيق المقاطع الكتابية على أيّامنا وعصرنا علينا أن نأخذ في الاعتبار المسافة والفارق الزمني والثقافي والشخصي بين القراء الأصليين للكتاب المُقدَّس والقراء في يومنا. ومع أن هذه الاعتبارات لا يمكن فصلها عن بعض بشكلٍ تامّ، فإننا سنركّز بشكلٍ خاصّ على القضايا الحضارية التي تؤثر في عملية الانتقال من المعنى الأصلي للكتاب المُقدَّس إلى التطبيق المعاصر لهذا المعنى.

ثمّة طرقٌ كثيرة لتعريف الحضارة. ولكن باتّباع الأفكار والمفاهيم التي عادةً ما تُرى في علمي الاجتماع والإنسان المعاصرين، سنعرّف الحضارة بما يلي:

هي أنماط المفاهيم والسلوكيات والعواطف المتداخلة التي يتّصف بها مجتمع ما.

وكما يشير هذا التعريف، فإن الحضارات تشمل طيفاً من الأنماط المتداخلة، مثل اللغة، والفنون، والعبادة، والتكنولوجيا، والعلاقات بين الأشخاص، والسلطة الاجتماعية. وتتألف هذه الأنماط المتداخلة من المفاهيم والسلوكيات والعواطف المشتركة، أي ما نؤمن به ونعمله ونشعر به. ولذا، حين نتكلم عن الحضارات، فإننا نفكر بالسمات والميزات الثقافية التي يتصف بها مجتمع ما، سواء أكان هذا المجتمع عائلة، أو مجموعة عرقية، أو منظمة اجتماعية، أو رابطة دينية، أو أمة، أو حتى الجنس البشري كاملاً.

يتضمن هذا الدرس "الحضارة الكتابية والتطبيق المعاصر" ثلاثة أبعاد: أولاً، الأساسات الكتابية للحضارة التي نراها في الفصول الأولى للكتاب المقدس. ثانياً، التطورات الكتابية للحضارة التي نراها حاصلّة في أزمنة العهد القديم والعهد الجديد. ثالثاً، تطبيقنا المعاصر أي كيف ينبغي للنواحي الحضارية في الكتاب المقدس أن تؤثر في تطبيقنا المعاصر له. ولننظر أولاً إلى الأساسات الكتابية للحضارة.

## الأساسات

في النظر إلى الأساسات الكتابية للحضارة، سنبدأ باستكشاف الفصول الإحدى عشر الأولى في كتاب التكوين. أولاً، كيف ترسخ هذه الفصول أهمية الحضارة. ثانياً، في تركيزنا على الكيفية سنقدم نموذجين حضاريين متعارضين. وثالثاً، سنلاحظ كيف تمهد الفصول الأولى في الكتاب المقدس لوجود تنوع حضاري وسط خدام الله الأمناء. ولنبدأ بأهمية الحضارة.

## الأهمية

الفصول الأحد عشر الأولى في كتاب التكوين تغطي الفترة التاريخية الممتدة من خلق العالم وحتى أيام إبراهيم. وهذه الفصول بالغة الأهمية لدراستنا، لأنها تقدّم المثال الذي وضعه الله ونماذجه للعالم والحضارة البشرية. وبهذا، فإنها تكون المرشد لنا في قراءتنا لبقية كتاب التكوين، ولبقية الكتاب المقدس أيضاً. تظهر أساسات الحضارة أول مرة في تكوين 1: 28، وهو نص كثيراً ما ندعوه "التفويض الحضاري". قال الله في هذا العدد:

أَثْمِرُوا وَكَثُرُوا وَاَمَلُوا الْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ (تكوين 1: 28).

لفهم مغزى التفويض الحضاري وتطبيقه، علينا أن نتذكّر أولاً رأينا في دروسٍ سابقة. فدائماً كان هدفُ الله النهائي والأسمى للتاريخ هو أن يملأ المسكونة بمجده المرئي حتّى تعبد كلُّ المخلوقات إلى الأبد. وبعد أن أقرَّ الرَّبُّ النظامَ الأوّلي للخليقة، أشار التفويض الحضاري إلى أن مسؤولية الجنس البشري هي تطوير الخليقة أكثر من خلال الإعداد للإعلان النهائي والأسمى لمجد الله.

كَلَّفَ اللهُ البشر بالتفويض الحضاري بأبسط التعابير، حتى يمتلئ العالم بمجده. ونحن نرى الخليقة كبيت أو هيكل في القديم. فحين كان الهيكل يُكتمل بناؤه، كان الإله الذي أمر ببنائه يسكنه. وهكذا الأمر بالنسبة للنظرة الكتابية للخليقة، فالأرض كلها أضحت مسكن الله وهيكله المُقدَّس. ولكن بدلاً مما كان يوضع من تماثيل للآلهة، تمثال طيرٍ أو أسدٍ أو ما شابه، في تلك الهياكل، وضع الله الرجل والمرأة اللذين كانا يحملان صورته. وهكذا، كان الله يقول ما معناه: "ذهبوا وكثِّروا صورتي التي فيكم، واملأوا الأرض، ثم أخضعوها لسلطانكم، ومارسوا السلطة عليها ككهنة". فكان التفويض الحضاري يهدف لأن يذهب حاملو صورة الله ويمارسوا ربوبية الله وسيادته على العالم المخلوق، حتّى تكون الأرض مكان سكنى الله الذي خلقها، مثل بلاط عرشه السماوي، ونحن نرى لمحاتٍ له في مقاطع مثل إشعياء 6، والغاية أن تكون الأرض مثل السماء. ولذا لم يكن هذا الأمر جديداً أو غريباً. فالعهد القديم يُنبئ بأن الأرض ستمتلئ من مجد الرب كما تغطّي المياه البحر، لأنّ هذا هو قصد الله الأصلي للأرض.

—القس مايكل جلودو

من بداية الكتاب المقدس يعطي الله تفويضاً مهماً أو مجموعةً مهمة من الأحكام، ويمكننا أن ندعوها نظرة كونية، لآدم وحواء. وتتعلّق هذه الأحكام بالاعتناء بالجنّة ونظامها، ونشر واقع الجنّة إلى كلّ أنحاء العالم. يمكن القول إنّ قصة الكتاب المقدّس تتعلّق بالسقوط وفشل الإنسان في نشر الجنّة في كلّ أنحاء العالم، ومن ثمّ البدء من جديد في ذلك التفويض من خلال آدم الثاني، يسوع، وعروسه، الكنيسة. وهكذا، نرى أن التفويض الحضاري، تفويض الخلق، ذلك الغرض الأصلي الوارد في التكوين 1، هو في أساسيات جوهر رسالة الكتاب المقدّس. وهذا التفويض هو أيضاً هدف الفداء. وقد دعا أحدُ الكُتّاب الفداء بـ"استعادة الخليقة". وأنا أرى أن هذه الصورة جميلة، وأنها تعبّر عن فهم شامل

لرسالة الكتاب المقدّس. كثيراً ما وصفت رسالة الكتاب المقدّس بأنها استعادة الله لسلطانه، ولملكه، من السماء إلى الأرض، وعمل الله هذا يتم بين هذين القطبين، المحوّريين، حيث يعمل الله على جعل واقع السماء واقعاً أرضياً بشكل تام، كما أنّه يعطي إحساساً زمنياً مؤقتاً بما يعمله الله فعلاً من الخلق وحتى هدفه النهائي الذي سيحقّقه في الخليقة الجديدة. وفي قلب هذا القصد فكرة نشر الله لمجده في كلّ الأرض. هذه هي دعوة كل البشر، كأفراد، وكجنس بشري مفدي يتمثّل في كنيسة الله.

—الدكتور جوناثان بينينجتون

نستطيع أن نرى هذا في التكوين 1: 26، حيث قال الله: "لنصنع الإنسان على صورتنا". وفي العالم القديم، كان ملوك الأمم يُدعون صورة الله، جزئياً لأنّ المهمة الملكية هي تحديد إرادة آلهتهم وبناء ثقافتهم وحضاراتهم بحسب هذه الإرادة. وفي ضوء هذا توضّح الفصول الأولى من كتاب التكوين أن كل البشر خُلِقوا للقيام بهذا النوع من الخدمة الثقافية الملكية بهدف امتداد وتتميم إرادة الله في الأرض.

بالإضافة إلى هذا، يوضّح الفصل 2 من كتاب التكوين أنّ كلّ تطوّر حضاري بحسب إرادة الله هو خدمة كهنوتية مقدّسة مقدّمة لله. وفي العدد 15 يشير الكتاب المقدّس إلى حقيقة أن الله وضع آدم وحوّاء في هذه الجنة المقدّسة "ليعملها ويحفظها". تتضمّن هذه العبارة ربطاً غير اعتيادي للفعل العبراني: "عقد"، وعادةً ما يُترجم إلى "عمل" أو "كذب"، بالفعل "شمر"، ويُترجم إلى "اعتنى بـ" أو "حرس" أو "حمى". استخدم موسى هذين الفعلين معاً مرةً واحدة أخرى فقط، وذلك في كتاب العدد 3: 8، حيث وصف خدمة الكهنة اللاويين في محضر الله المجيد في خيمة الاجتماع.

وهكذا يمكن القول إن الفصول الأولى في التكوين تضع أساس المنظور الإلهي بأن الحضارة ليست بُعداً ثانوياً في وجودنا، بل هي خدمتنا الملكية والكهنوتية التي نقدّمها لله. فقد عيّنا الله لنملاً الأرض ونطوّرها وننظّمها ونجملها ونقدّسها تحضيراً للإعلان النهائي والأسمى لمجد الله المرئي.

أعتقد أنّه لفهم سبب تكليف الله للإنسان بالتفويض الحضاري ينبغي أن نتذكّر أن الإنسان خُلِق بطريقة فريدة على صورة الله. هذا يشير إلى عنصر بنيوي في صورة الله، فنحن مخلوقون على صورة الله. ولكن هناك عنصراً وظيفياً أيضاً، إذ نحن نُظهر مجد الله بطريقة فريدة تناسبنا تماماً كبشر، حيث نحن نحمل مجده ونعكسه من خلال العمل الذي نعمله. وهكذا، فإنّ التفويض الحضاري المعطى لنا يتضمّن عملاً هو أن نملاً الأرض ونسكنها.

وبهذا فإن تمييزنا، تفويضنا الحضاري يتضمن نشرنا مجد الله الذي يُعلن بشكلٍ فريد في صورته الإلهية الظاهرة في هيئةٍ بشريةٍ إلى أقصى الأرض لمجده.

— الدكتور بروس بوجوس

بعد أن نظرنا إلى الأساسات الكتابية لأهمية الحضارة، علينا أن نعالج القضية التالية، وهي الأساسات الكتابية لنموذجين حضاريين متعارضين انتهجهما البشر عبر التاريخ وحتى الآن، وهما الخير والشر.

### نموذجان متعارضان

عندما نسافرُ إلى أماكنٍ مختلفةٍ من العالم، نكونُ على صوابٍ بأن نذكّرُ أنفسنا، أن هناك مجالاً ليفعل الناس أموراً بطرقٍ مختلفةٍ. فلسنا جميعاً بحاجةٍ لقيادةٍ سيارتنا في الجانبِ نفسه من الطريق، أو التحدّثِ بنفسِ اللغة، أو ارتداءِ أنواعِ الثيابِ نفسها. ومع ذلك، توضّحُ الإصحاحاتُ الأولى من سفر التكوين، أن الحضارة ليست محايدةً على الإطلاق من الناحية الأخلاقية. بل على العكس، فإن كلَّ تطوُّرٍ في كلِّ ثقافةٍ إما أن يرضي الله أو يزعجه بطريقةٍ ما، حيث تعكسُ كلاً منهما ثقافتين متعارضتين.

كان كُتّاب الكتاب المقدس واعين أن البشر يطوّرون الحضارة بطرقٍ مختلفةٍ وعديدة. ولكن من وجهة نظرهم، كانت كل الحضارات تقع ضمن فئتين أساسيتين: الأنماط الحضارية التي تخدم الله، والأنماط الحضارية التي تعارض الله وتقاومه.

وكما سنرى لاحقاً، فإن هذه الفروق تظهر بالغة الأهمية في تطبيق الكتاب المقدس على أيّامنا. ولكن لننظر الآن إلى كيف ظهر هذا التقسيم وترسّخ في فصول الكتاب المقدس الأولى.

نرى في التكوين 3، آدم وحواء يفشلان في امتحان الولاء لله بأكلهما من شجرة معرفة الخير والشر. وبعد هذا، أعلن الله أن سقوطهما في الخطية يقود البشر للسير بواحد من طريقين حضاريين متباينين. استمع إلى الطريقة التي وصف الله بها هذين النهجين الحضاريين في التكوين 3: 15، حيث يقول للحية:

وَأَصْغُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقْبَهُ (التكوين 3: 15).



وباختصار، "المرأة" المذكورة هنا هي حواء، المرأة الأولى التي خلقها الله، والحية هي الشيطان. يرسخ هذا المقطع حقيقة الانفصال والفروق التي تتصّف بها الحضارة البشرية عبر التاريخ. فنسل المرأة سعى ويسعى لخدمة الله وعبادته بكلّ أمانة وإخلاص. أما نسل الحية فسعى ويسعى لمقاومة الله. وسيستمر هذا الفرق صفةً للحضارة البشرية إلى أن يعود المسيح، نسل المرأة الأعظم، ليتمّم ويُعلن انتصاره الكامل على الشيطان.

يظهر هذان الطريقتان مباشرةً في قصّة قايين وهابيل، في التكوين 4. وقُرب نهاية الفصل 4 نرى كيف عاش قايين ونسله كنسلٍ للحية. فقد طوّروا حضارة وثقافةً ناميئتين ومتقدّمتين، ولكنهم كانوا يقصدون مقاومة إرادة الله، وأبدلوا أباهم الطبيعيّ متّخذين إبليس الشّرير أباً روحياً لهم.

ولكن في التكوين 5، نجد سجلاً لنسل شيث الذين طوّروا ثقافةً عبّرت عن نسل المرأة. فشكّل هؤلاء عائلات وقبائل، وطوّروا ممارساتٍ ولغةً دينية. لم يكونوا كاملين، ولكنهم بذلوا أفضل ما لديهم من قدرة لتأسيس أنماطٍ ثقافية حضارية خدمت الله ومجّده. ومن هذه النقطة فصاعداً، يستمرّ الكتاب المقدّس في التمييز بين هاتين الحضارتين - هذين النموذجين الثقافيين المتعارضين.

وينبغي أن نكون حذرين هنا. ففي تفسير الكتاب المقدّس وتطبيقه ينبغي أن نلاحظ التشابهات الكبيرة بين هذين النهجين في الحضارة البشرية. يشير التكوين 4 و5 إلى أن قايين وهابيل سيطرا على الطبيعة، وكلاهما أسّس مجتمعاتاً وممارسات دينية. وكما يظهر من سجل أنسال شيث وقايين، فقد تزوّج النسلان ووُلد لهم أولاد.

ولكن كيف يمكن لأشخاصٍ يتبعون نموذجاً ومبادئ حضارية مختلفة أن تكون لهم تعبيرات وأشكال ثقافية متشابهة؟ نعرف من بقية الكتاب المقدّس أن هذا التشابه يعود لسببين.

فمن ناحية، تكبح نعمة الله العامة، وهي رحمته الغير مُخصّصة تجاه كل البشر، الشيطان والميول الأثيمة عند الذين يتبعون الشيطان. ونتيجةً لهذا، نرى أن حتى أشدّ الحضارات في العالم أظهرت درجةً من التوافق مع إرادة الله. ومن ناحية أخرى، تستمر الخطية في إفساد الذين يسبّرون في طُرق الله. وهكذا نرى أنّه حتى أقدس حضارات العالم وثقافته لم تتمكّن من حفظ إرادة الله بشكلٍ تامّ.

منذُ زمن قايين وهابيل وحتى يومنا هذا، كانت هناك دائماً فروق وتشابه بين الجهود الثقافية لخدّام الله الأمناء من جهة، والذين يتمردون عليه من جهة أخرى. وحين نسعى لتطبيق أيّ مقطع كتابي اليوم، مُهمٌّ أن نتذكّر هذه الفروق الثقافية.

بعد أن استكشفنا الأساسات الكتابية لأهمية الحضارة وظهور نموذجين حضاريين متعارضين، نستطيع الآن أن ننقل إلى عامل أو بُعدٍ آخر: قبول الله للتنوُّع الحضاري في الفصول الأولى في الكتاب

المقدس.

## التنوع

تتعلق الإصحاحات الأولى في سفر التكوين، بشكلٍ أساسيٍّ، بمجموعةٍ قليلةٍ من الأشخاص. ولذلك، لا نرى أمثلةً عن مجتمعاتٍ تُظهر تنوعاً حضارياً في هذا الجزء من الكتاب المقدس. ومع هذا، مهّد الله الطريقَ للتنوع الحضاري، في الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، من خلال الطُّرُق التي أعلن بها إرادته للأفراد، في بدايات التاريخ البشري.

ثمة طرقٌ كثيرة يمكن بها وصف أصول التنوع الحضاري، ولكن بسبب ضيق الوقت، سننظر إلى الكيفية التي بها ظهر التنوع الحضاري وتطوّر من خلال "الإعلان الخاص"، وأيضاً مما ندعوه عادةً "الإعلان العام".

"الإعلان الخاص" تعبير يستخدمه اللاهوتيون للإشارة إلى إعلان الله عن نفسه وإرادته لعددٍ مختار من البشر من خلال الأحلام والرؤى والأنبياء والأسفار المقدّسة، ووسائل أخرى شبيهة. فمثلاً، في الفصول الأولى من كتاب التكوين، نرى الله يعلن عن نفسه لآدم وحواء وقايين وهابيل ونوح بواسطة الكلام. ومن الناحية الأخرى، يشير "الإعلان العام" إلى إعلان الله عن نفسه وإرادته في كل الخليقة، أكان في البشر - في شخصياتهم البشرية وقدراتهم الروحية والجسدية، وصفاتهم الأخرى - أو في الظروف - من خلال العالم الخارجي المرئي - نرى هذا في مقاطع عديدة في الكتاب المقدس، مثل المزمور 19، ورومية 1: 18-20.

إن استخدام الله للإعلان الخاص وللإعلان العام يساعدنا في فهم الطريقة التي هيأ الله بها للتنوع الحضاري وسط شعبه.

نرى هذا من خلال الطريقة التي بها أطاع الأمانة المخلصون من شعب الله الإعلان الخاص نفسه بطرقٍ مختلفة، حتّى في الفترة الزمنية نفسها، لأنهم كانوا بشراً مختلفين يواجهون ظروفًا مختلفة. فمثلاً، تلقى آدم وحواء الإعلان الخاص بشأن التفويض الحضاري في التكوين 1: 28. ولكنّ آدم وحواء كان لهما مواهب مختلفة وشخصيتان مختلفتان وقدرات جسدية مختلفة وغيرها. كما كانا يتعاملان مع ظروف شخصية مختلفة. وبرغم التنوع الذي كانت ظروف آدم وحواء تتّصف بها، فقد كان عليهما أن يطبقا الإعلان الخاص نفسه، المتعلق بالتفويض الحضاري، على حياتهما بطرق مختلفة في الوقت نفسه.

بالإضافة إلى هذا، كثيراً ما طبّق البشر الإعلان الخاص نفسه بطرقٍ مختلفة عبر الزمن، بسبب

التغيّرات المستمرة في الناس وظروفهم. ومثالاً على ذلك ما نراه في التفويض الحضاري. فحين أعطى الله التفويض الحضاري أول مرة لم تكن الخطية قد دخلت إلى العالم، ولكن بعد أن تمرد آدم وحواء على الله وعصياه، تغيّرا وتغيّرت ظروفهما، وبالتالي تغيّرت الطريقة التي بها أطاعا التفويض الحضاري. وفي الحقيقة، الإعلان الخاص في التكوين 3 أظهر كيف أن الألم والتعب والفساد جعلوا تتميم التفويض الإلهي قضية مُعقّدة في عملية تقدّم الجنس البشري.

يمكننا أن نرى التنوّع نفسه يظهر بشكلٍ متكرّرٍ بينما كان الله يضيف إعلناً خاصاً بعد آخر عبر الزمن. وبطريقةٍ وبدرجةٍ أو بأخرى، كان كلُّ إعلان خاصٍّ يعدّل في متطلّبات الإعلانات الخاصة السابقة. وهكذا في كلّ مرةٍ كان الله يعطي إعلاناته الخاصة، كان على شعبه أن يستجيب بتغيير الطريقة التي بها خدمه في الوقت نفسه وعبر الزمن.

من البداية تماماً، كان الإعلان الخاصّ والإعلان العام يقودان إلى تنوّع في الطريقة التي بها كان البشر يخدمون الله ويتبعونه. وكما سنرى لاحقاً في هذا الدرس، فقد كان هذا التنوّع هو ما وضع أساسات التنوّع الحضاري في مجتمعات شعب الله الأمانة والمخلصّة عبر التاريخ الكتابي وحتى في أيامنا هذه.

يطالبنا التفويض الحضاري في كتاب التكوين بأن نثمر ونكثُر، ونملأ الأرض ونتسلّط عليها. وهذا يقود إلى تنوّع حضاري. وهنا يبرز السؤال: هل هذا حقاً قصد الله؟ هل يقصد الله وجود التنوّع بين الثقافات المختلفة؟ وأجيب عن هذين السؤالين فأقول: "أجل، هذا هو تعليم الكتاب المقدس، بكل تأكيد." هذه نتيجة ما يدعونا الله بأن نبدأ بعمله ... فقد خلقنا الله في بيئة تمتلئ برغبته في التنوّع: فلا يوجد في الأرض يابسةً فقط، بل وبحرٌ أيضاً. وفي السماء لا تُوجد الشمس فقط، إذ فيها كل أنواع النجوم أيضاً. وفي الأرض لا تنتشر الطيور المحلّقة فقط، بل الحيوانات بأنواعها أيضاً. وليس هناك نوع واحدٌ من البشر، إذ هناك الذكر والأنثى. وفي إظهارنا ونشرنا لصورة الله الذي خلق الكون بهذه الطريقة، فمن المؤكّد أن علينا أن نعكس هذا الشكل من التنوّع، في ممارسات حضارية مختلفة، وأفكر في أمر آخر يمكن قوله هنا هو أن الله يدعونا لأن نملأ الأرض بمجده، وحين نفعل هذا فإننا نواجه أموراً مثل تنوّع المناخ وتنوّع التضاريس. ولا يمكنك بناء بيتٍ من جليد في منطقة الغابات الاستوائية، أو عمل كوخ من عشب وقصب في ألاسكا. وهكذا، حين نملأ الأرض كلها ونتسلّط على كلّ الأرض، فسيكون هذا النوع من التنوّع الذي نراه في كلام كتاب الرؤيا عن جماعة المفديين من كل قبيلة ولسان ولغة وأمة. ليس هذا ابتعاداً عن

## قصد الله الأصلي، بل هو في الحقيقة تميم لما أمر الله به في التكوين 1. —الدكتور جيمي آيجان

أعتقد أن جزءاً من جمال عمل الله في العالم هو عمله لا في حضارة واحدة فقط، بل في حضارات كثيرة ومن خلالها. وأظن أن لدينا تأكيداً على هذه الحقيقة في الكتاب المقدس. وإعلان بشارة الإنجيل هو لكل الأمم، أي لكل الأعراق البشرية في الأرض. وحين نصل إلى نهاية كتاب الرؤيا، يكلمنا الكتاب المقدس عن ملوك الأرض الذين يأتون بمجدهم إلى ملكوت الله، إذ يأتون إليه بكل كنوز ثقافتهم المختلفة ونقاط القوة والهدايا الفريدة التي نراها في الحضارات المختلفة في العالم. ويستخدم الله كل هذه الأمور من خلال الفداء، كجزء من مقاصده للبشرية. وأعتقد أن هذا أحد أسباب أهمية أن تكون لنا علاقات مع جسد المسيح عبر الحضارات المختلفة، حتى نتبارك ونستفيد من غنى وعظمة عمل الله في حضارات العالم المختلفة.

—الدكتور فيليب راين

لاستكشاف الحضارة الكتابية وعلاقتها بالتطبيق المعاصر، نحتاج لأن نتذكر لا الأساسات الكتابية للحضارة فقط، بل والتطورات الكتابية للحضارة في العهدين القديم والجديد.

### التطورات

توجد عدة طرق لتلخيص التطورات الكتابية للحضارة في الكتاب المقدس، ولكن لأغراضنا في هذا الدرس، نريد أن ننظر إلى هذه التطورات الحضارية من خلال العدسات نفسها التي استخدمناها في النظر إلى أساسات الحضارة. سننظر أولاً إلى أهمية الحضارة مع تقدم وتطور التاريخ الكتابي. ثانياً، سننظر إلى تطور النموذجين الحضاريين المتعارضين في الكتاب المقدس. وثالثاً، سننظر إلى كيفية تطور التنوع الحضاري في الكتاب المقدس. ولنبدأ أولاً بأهمية الحضارة.

## الأهمية

الحضارة قيمة مهمة في كلا العهدين القديم والجديد، ولكن أهمية الحضارة في العهد القديم تظهر بوضوح من خلال الاهتمام الذي توجّهه الكتب الأولى في العهد القديم لإسرائيل كأمة.

يصف كتاب التكوين التطوّرات الحضارية قبل أن تصبح إسرائيل أمةً، ولكن الكتب الخمسة الأولى في الكتاب المقدّس، كُتبت بكاملها خلال فترة خدمة موسى وإعطاء عهد الناموس، بعد أن ترك شعب إسرائيل مصرَ وتجمّعوا كأمة واحدة عند جبل سيناء. ولذا، فإن هذه الكتب تركّز كثيراً على أوامر الله ووصاياه وتعليماته الخاصّة بحياة إسرائيل كشعب وأمة.

أما بقية كتب العهد القديم، من يشوع إلى ملاخي، فقد كُتبت معظمها خلال فترة العهد الداودي الملكي العظيم، بعد أن صارت إسرائيل أمة بلغت الكمال. تخاطب هذه الكتب طيف إعلانات الله التي وجّهت حضارة شعب إسرائيل خلال تطوّره وبلوغه مجده الإمبراطوري، وخلال فترة الصعود والهبوط التي اتّصفت بها المملكة المنقسمة، وخلال فترة السبي والفترة القصيرة بعد الرجوع من السبي في نهاية حقبة العهد القديم.

مع أن العهد القديم يصف تطوّرات حضارية عديدة حصلت في إسرائيل، فإن أعظم تطوّر حصل في العهد القديم هو الانتقال من حقبة العهد القديم إلى حقبة الميثاق الجديد في المسيح. وبدلاً من التركيز على الحضارة والثقافة الوطنية لأمة إسرائيل، يلفت العهد الجديد الانتباه إلى التطوّرات الحادثة في الأنماط الثقافية الحضارية في كنيسة المسيح.

ولفهم كيفية حصول هذا التغيّر الدراماتيكي، علينا أن نتذكّر أن معظم يهود فلسطين في القرن الأول تطلّعوا لمجيء عصر العهد الجديد. وكما رأينا في دروسٍ سابقة، فإنّه خلال فترة ما بين العهدين، كان رجال الدين اليهود يشيرون إلى كل التاريخ السابق لمجيء المسيح الموعود بـ"هذا الدهر". وكانوا يعلمون أنّه حين سيظهر المسيح سيبدأ "الدهر الآتي". وكانوا يؤمنون أنّ المسيح سيظهر في الدهر الآتي، وسيقود شعبه ضد أمم هذا العالم الشريرة، وسيثبت شعبه في ملكوته المجيد الذي يشمل العالم كلّهُ، بطريقة مثيرة وحاسمة محدثاً تغييراً في ثقافة إسرائيل.

ولكن يسوع ورسله وضّحوا أن هذا الملك سيتمّ على ثلاث مراحل: تأسيس ملكوته في مجيئه الأوّل، واستمرار ملكوته عبر تاريخ الكنيسة، وبلوغ ملكوته الذروة في مجيئه الثاني. وقد قادت هذه النظرة ذات المراحل الثلاث إلى فهمٍ جديد تماماً للطُّرق التي توفّع الله أن تتطوّر حضارة شعبه بها خلال فترة العهد الجديد.

يسهل أن تفوتنا الأهمية الحضارية الثقافية للعهد الجديد إلا إن بقينا منتبهين إلى الهدف الأسمى

والنهائي لملكوت الله كما يُوصَف في مقاطع مثل كتاب الرؤيا 11: 15:

**فَد صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ (الرُّؤْيَا 11: 15).**

نرى في هذا المقطع أنّ المسيح سيُسقط كلَّ "ممالك العالم" المتمردة. ولكنّه لن يكتفي بملاشاة هذه الممالك، بل سيغيّر العالم ويجعله مملكة بر تشمل العالم كله ويمكن وصفها بـ"ملكوت ربنا ومسيحه"، حيث "سيملك إلى أبد الأبدين".

وهكذا، فإن الحضارة ليست عنصراً ثانوياً في العهد الجديد، بل هي أمرٌ بالغ الأهمية فيه، إذ كلّ مقطع في هذا الجزء من الكتاب المقدس يعالج بطريقةٍ ما كيف يُحقّق المسيح مقاصد الله للحضارة البشرية. تركّز بعض المقاطع على الطرق التي بها بدأ يسوع المرحلة الأخيرة من التفويض الحضاري بحياته وموته وقيامته وصعوده وانسكاب الروح القدس. ثمة مقاطع أخرى في الكتاب المقدس تركّز على قيادة الكنيسة في عملها في تغيير العالم من خلال بشارة الإنجيل خلال فترة استمرار ملكوت المسيح. ومع هذا، فثمة مقاطع أخرى في العهد الجديد تلفت الانتباه إلى مرحلة الذروة حين سيعود المسيح ليتمّم مقاصد الله للبشر ويؤسس حضارة ثقافية تتمّ فيها إرادة الله على الأرض كما تتمّ في السماء.

بعد أن نظرنا إلى التطوّرات الكتابية في الحضارة بالنظر إلى أهمية الحضارة في تطوّر التاريخ الكتابي، نستطيع أن ننتقل إلى تطوّر "النموذجين الحضاريين المتعارضين" اللذين يبدوان في الكتاب المقدس من بدايته إلى نهايته.

### نموذجان متعارضان

أدى ترسيخ وجود نموذجين حضاريين في التكوين 3 إلى ربط كُتاب العهد القديم نسلَ الحية بالأُمم الوثنية، ونسلَ حوّاء بشعب إسرائيل.

طوّرت الأمم الوثنية حضارتها خدمةً وتكريساً للآلهة الكاذبة وقاومت إله إسرائيل. فأقاموا نُصباً ومزاراتٍ ومعابدَ لهذه الآلهة الكاذبة، وفي بعض الأحيان كانوا يقدّمون أولادهم ذبائح لها. وقد وضح الله أنّ على شعبه أن يبتعد تماماً عن هذه الممارسات.

أما إسرائيل فقبلت قوانين الله العادلة والصّالحة التي أعطاه الله من خلال موسى، وحاولت أن تعيش بطريقة تمجّد الله الحقيقي الوحيد. فحفظوا السبت وتجنّبوا عبادة الأوثان، واتكّلوا على إرشاد الله وحمايته بدلاً

من الاتكال على الحكمة والقوة البشرية.

طبعاً لم يكن هذا يعني أن الأمم لا يمكن قبولهم ضمن شعب إسرائيل بتعهدهم الولاء لله، أو أنه لم يكن ممكناً أن يفسد بنو إسرائيل فيصيروا أعداء لله. ولكن طالما اتبعت كل فئة مثالياتها الاعتيادية، يرى أن شعب إسرائيل طوّر حضارته في عبادة الله وخدمته، بينما طوّرت الأمم حضارتها في عبادة الآلهة الكاذبة وخدمتها.

وفي الوقت نفسه، يشير العهد القديم والاكتشافات والدراسات الأثرية إلى أن حضارة إسرائيل وحضارة الأمم كانتا متشابهتين بطرقٍ عديدة. وقد نشأت بعض التشابهات من اتباع بني إسرائيل للممارسات الأثيمة التي كانت عند جيرانهم من الأمم الأخرى. ولكن بعض التشابهات الأخرى تعود إلى نعمة الله العامة التي تكبح الميول الأثيمة عند الأمم وفي العالم. وهكذا، يرى أن بعض نواحي حضارات الأمم كانت تتوافق مع إرادة الله على الأقل بشكلٍ سطحيّ. وقد استمرت الفروق الحضارية طيلة فترة العهد القديم. وحين نأتي إلى العهد الجديد، يظهر النموذجان الحضاريان المتعارضان ثانيةً، ولكنهما يتجسدان في مجموعات أخرى من الناس.

فعدم أمانة شعب إسرائيل مدةً طويلة، وهذا الأمر بدأ في فترة العهد القديم، لم يترك سوى بقية من اليهود الأمناء في زمن تجسد المسيح. وفي العهد الجديد، صار الأمم يستطيعون نوال التنبؤ الكامل في شعب الله مع البقية النقية من شعب إسرائيل. ولذا، فبدلاً من التفريق بين الشعب اليهودي والأمم الوثنية، يربط كُتاب العهد الجديد أتباع المسيح بنسل المرأة وغير المؤمنين بنسل الحية، سواء أكانوا يهوداً أم أمماً. لهذا تكلم يسوع عن كون الشيطان أباً للفرسيين في يوحنا 8: 44. وهذا يوضح لماذا أشار بولس الرسول في رومية 16: 20، إلى التكوين 3: 15، حيث أكد للمسيحيين المؤمنين في روما بأن الله سيسحق الشيطان تحت أقدامهم.

العلاقة بين إسرائيل والأمم الوثنية مسألة تمتلئ بالإثارة. فإن نظرنا إلى التكوين 18 ومقاطع أخرى، نرى الله يعطي وعداً لإبراهيم بأنه سيباركه ويبارك نسله. وإن فكرنا في الكتاب المقدس باعتباره عملاً درامياً من عدّة فصول، ففي الفصل الأول نرى الله يعطي وعداً لإبراهيم، ويحفظ شعب إسرائيل من التأثيرات المُفسدة للأمم المحيطة به. فشل شعب إسرائيل مرّاتٍ عديدة، ولكن الله كان يؤدبه. حمى الله الأمة وحافظ عليها إلى أن أتى المسيح وأعلن الخلاص لشعب إسرائيل. يقول يسوع في متى 15 إنه أتى إلى "خراف بيت إسرائيل الضالّة". هذا ما قاله لامرأة كنعانية طلبت إليه أن يشفي ابنتها. "لماذا لم يشفِ

ابنتها فوراً؟" برأيي هذا هو الفصل الثاني في العمل الدرامي. "وأنا أتيتُ لأنادي بالخلاص للخراف الضالّة في بيت إسرائيل". وفي الفصل 28، نرى الفصل الثالث من الدراما، وهو الفصل الذي نحن فيه، حيث تنطلق بشارّة الإنجيل إلى اليهود والأمم على السواء. ولكننا نرى في رسالة رومية أمراً لافتاً. فحتّى في الفصل الثالث من العمل الدرامي الإلهي يحافظ بولس الرسول على التمييز، فيقول: "لليهودي أولاً ثم لليوناني". فهو يشعر بالالتزام نحو أبناء جنسه، الذين نالوا مواعيد إبراهيم أولاً، إذ يقول: "أنا ملتزم بأن أنادي ببشارة الإنجيل لهم أولاً". ولذا، نراه يذهب إلى المجمع ويُعلن تحقيق الوعود المعطاة لأجدادهم. ولكن حين كان يُرفض أو كان اليهود لا يستمعون إليه، كان يذهب فوراً إلى الأمم. ويوضّح الرسول بولس في رسالة أفسس أنّه بموت المسيح على الصليب، سقط الحائط الفاصل بين اليهود والأمم، وصرنا جميعاً أبناء وبنات إبراهيم نتمتع بوحدة جميلة إذ كلنا أبناء وبنات الله الذين تبناهم.

—الدكتور روبرت پلمر

كثيراً ما يحذّر العهد الجديد المؤمنين بأن لا يشاكلوا هذا العالم لأن الكنيسة والعالم يتبعان نموذجين حضاريين مختلفين. ولكن في الوقت نفسه، يُظهر كُتّاب العهد الجديد أن الخطّ الفاصل بين حضارة الكنيسة وحضارة العالم ليس مُطلقاً. فبتطوّر الثقافة في الكتاب المقدّس، كثيراً ما قبل المسيحيون الأوائل العادات والنظرات الفلسفية التي كانت مُتبعة ومُعتنقة عند غير المؤمنين. وكما رأينا سابقاً، فإنّ بعض هذه التشابهات نتجت عن تأثير الخطية على أتباع المسيح، بينما تعود تشابهات أخرى إلى التأثيرات الإيجابية لنعمة الله العامّة في العالم وعليه.

في نظرنا إلى التطوّرات الكتابية للحضارة رأينا أهمية الحضارة في العهدين القديم والجديد، ورأينا كيف تطوّر نموذجان حضاريان متعارضان عبر التاريخ الكتابي. ولذا لننتقل الآن إلى موضوعنا الثالث: تطوّر التنوع الحضاري في الكتاب المقدّس.

## التنوع

حين نستكشف العهد القديم، يظهر واضحاً أنّه يحتوي على قوانينٍ وتعاليمٍ كثيرة كان هدفها ترسيخ وتمتين ثقافة شعب إسرائيل. ولكنّ هذا لا يعني أن الله توقع أن تكون كل عادات شعب إسرائيل متطابقة. ففي



الحقيقة، في تطبيق المجتمعات المحلية داخل شعب إسرائيل، إعلان الله الخاص وإعلانه العام، ظهر تنوع في النماذج الحضارية داخل شعب إسرائيل.

حصل الكثير من هذه التغيرات في الوقت نفسه. كان الكهنة اللاويون يطبقون قوانين الله ونواميسه بطرقٍ مُعَيَّنة داخل مجتمعاتهم، بينما في الوقت نفسه كان الملوك والقادة السياسيون يطبقون قوانين الله بطرقٍ أخرى. فكانت عائلة ما تطبق قوانين الله بطرقٍ تتناسب مع أفرادها، بينما تطبق عائلات أخرى قوانين الله بطرقٍ تتناسب معها.

كما حصلت تغيرات وظهرت اختلافات أكثر من خلال الإعلانات الخاصة الأخرى التي أعطاها الله لشعب إسرائيل عبر الزمن. فقد أمر الله ببعض النماذج الحضارية بينما كان شعبه يسير في البرية، وأمر بنماذج أخرى خلال فترة فتح أرض كنعان والسيطرة عليها. وأمر الله بإحداث التغييرات حين رسم الحكم الملكي في إسرائيل، وكذلك حين أمر سليمان بأن يبني الهيكل في أورشليم. وثمة تغيرات أخرى حصلت في حضارة شعب إسرائيل خلال السبي وبعد الرجوع من السبي.

بعض نواحي الحياة الثقافية في إسرائيل لم تتغير إلا قليلاً عبر تاريخهم. فقد كانت ثقافة ذكورية أبوية من البداية وإلى النهاية، حيث كان الزوج الشخصية الرئيسية في العائلة. لم يكن الشخصية الوحيدة، لكن الرئيسية. فأنا أتذكر هنا ما يقوله كتاب الأمثال عن وجوب إكرام الأب وعدم لعنة الأم. ومع هذا، فقد كانت ثقافتهم ثقافة ذكورية أبوية من البداية وإلى النهاية. ولكن من ناحية أخرى، شهدت حياتهم السياسية تغيرات دراماتيكية، فكانوا في البداية مجموعة من القبائل المنفرقة، ثم صارت لديهم هيكلية قبلية منظمة تنظيمياً محكماً، وبعد ذلك صاروا دولة واحدة، ثم تعرّضت هذه الأمة للدمار، وصاروا مجرد حضارة ضمن إمبراطوريات العالم، وصار عليهم أن يحاولوا أن يفهموا دورهم كشعب الله. وهكذا، نرى أن وضعهم السياسي شهد تغيراً دراماتيكياً عبر الزمن.

—الدكتور جون أوزوالث

وحيث نأتي إلى العهد الجديد، نجد التنوع مرةً أخرى. فكانت أنماط ونماذج العهد القديم الحضارية لا تزال حيّة في المجتمع، ولكن ينبغي النظر إليها في ضوء حقيقة أن شعب الله لم يعد أمة عرقية واحدة. فصار شعبُ الله الآن الكنيسة، وهي مجتمع مدعو لأن يحيا ضمن حضارات وطنية ومحلية مختلفة. وهكذا، وحسبما يمكننا أن نتوقع، قاد الله في حقبة العهد الجديد شعبه الأمين لتطوير تنوع حضاري أكبر حتى من حقبة العهد القديم.

إن الفروق بين الناس والظروف قادت المجتمعات المسيحية إلى تطبيق التعاليم الكتابية بطرق مختلفة. فمثلاً، كان المؤمنون من اليهود والمؤمنون من الأمم لديهم ممارسات ثقافية مختلفة ارتبطت بظروفهم. وكان على الكنائس المسيحية الموجودة في المناطق المختلفة أن تأخذ في الاعتبار شعبها والظروف التي يعيش فيها ويمرّ بها في تطبيق تعاليم الكتاب المقدس. كما أن المجموعات السكانية المختلفة تتبع كلمة الله بأمانة بطرقٍ متنوّعة.

ولكنّ مهمٌّ أن نتذكّر أنّ الإعلان الخاصّ المتعلّق بالعهد الجديد لم يحصل مرّةً واحدةً. ففي حوالي قرنٍ من الزمن أعلن الله إرادته للكنيسة من خلال المسيح ورسول المسيح وأنبيائه. ولذا، فقد تنوّعت حضارة الكنيسة في حقبة كتابة العهد الجديد عبر الزمن. فمثلاً، تغيّرت ممارسة الختان بشكلٍ دراماتيكي كبير حين التقى الرسل والقادة في أورشليم، في أعمال 15. وفي كلّ مرّة كان سفرٌ في الكتاب المقدس يُكتَب ويُستلم، كانت الكنائس المسيحية تغيّر شيئاً ممّا كان لديها قبلاً. لهذه الأسباب ولأسبابٍ أخرى، كان هناك قدرٌ كبير من التنوّع الحضاري وسط المجتمعات المسيحية في فترة العهد الجديد.

بعد أن نظرنا إلى الحضارة الكتابية من خلال فحص واستكشاف الأساسات الكتابية للحضارة وإلى كيفية تأثير التطوّرات الكتابية على الحضارة في الكتاب المقدّس، لننتقل إلى موضوعنا الثالث: ما علاقة كل هذه الأمور بالتطبيق المعاصر للكتاب المقدّس؟

## التطبيق

يظنّ العديد من الإنجيليين، في أيّامنا، بأن الإيمان هو في الأساس أمرٌ خاصٌّ وشخصي. وبالطبع، يتكلّم الكتاب المقدس كثيراً عن حياتنا الشخصية مع الله. ولكنّ، يؤكّد الكثير منّا على هذا الجانب من الكتاب المقدس، لدرجة أنّهم يُظهرون اهتماماً قليلاً، بتطبيقات الكتاب المقدس على الحضارة المعاصرة. لكن كما سنرى، يركّز الكتاب المقدّس على الأبعاد الثقافية لإيماننا كثيراً، لدرجة أنّنا يجب أن نكرّس أنفسنا لتطبيق الكتاب المقدس على الحضارة اليوم.

سننظر إلى التطبيق المعاصر لما يعلّمه الكتاب المقدّس عن الحضارة بالطريقة نفسها التي نظرنا بها إلى أساسات الحضارة وتطوّراتها في الكتاب المقدّس. سنستكشف أولاً أهمية الحضارة في تطبيقنا لتعاليم الكتاب المقدّس. ثم سننظر إلى الكيفية التي بها ينبغي لفهمنا لحقيقة النموذجين الحضاريين المتعارضين أن يؤثر على تطبيقنا الكتاب المقدّس اليوم. وأخيراً، سننظر إلى ضرورة أن يأخذ التطبيق المعاصر في اعتباره التنوّع الحضاري الذي أفرّه الله لزمنا. ولنبدأ بالنظر إلى أهمية الحضارة في التطبيق المعاصر.

## الأهمية

تساعدنا أجزاء ومقاطع كثيرة في الكتاب المقدس في فهم سبب أهمية وضرورة تطبيق الكتاب المقدس على حضارتنا المعاصرة. ولكن إحدى أبسط الطرق لرؤية هذا التعليم هي النظر إلى الطريقة التي دعا بها المسيح أتباعه للتأثير بكلِّ حضارة وثقافة في العالم بتعليم كل ما علمه وأوصى به. استمع إلى الكيفية التي بها عبّر يسوع عن الأمر في متى 28: 19-20، وهو مقطع مألوف يدعو المسيحيون المؤمنون "المأمورية العظمى" أو "تفويض بشارة الإنجيل". في هذا المقطع قال يسوع لتلاميذه:

أَذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيْتُكُمْ بِهِ (متى 28: 19-20).

يلخص هذا المقطع رسالة أتباع يسوع المسيح حتى مجيئه في المجد. ولكن لنرى قيمة تأثير هذا المقطع على أنشطتنا وأعمالنا في الحضارة المعاصرة، مفيداً أن نرى أن تفويض بشارة الإنجيل ترداد لصدى التفويض الحضاري الذي أعطي للجنس البشري في بداية كتابة التكوين. في التفويض الحضاري الوارد في كتاب التكوين 1: 28، قال الله للبشر: "أثمروا واكثروا".

وفي متى 28: 19، دعا يسوع المسيح أتباعه لأن يتكاثروا في العدد أيضاً، إذ قال: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم". فمثلما كان على آدم وحواء أن يملأ العالم بصور الله، على المسيحيين المؤمنين أيضاً أن يُكثروا صور الله المفديّة في العالم. ونحن نعمل هذا جزئياً من خلال قيادة الناس إلى الإيمان المُخْلِص بيسوع المسيح.

ولكن تفويض بشارة إنجيل يسوع المسيح لا يتوقّف عند زيادة عدد خدام الله الأمانة. فبحسب إنجيل متى 28: 20، رسالتنا تتضمن أيضاً "تعليمهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به". فكما دُعي آدم وحواء لأن يطيعا الله بأن يملأها ويخضعها، على المسيحيين المؤمنين أن يعلموا كل الأمم بأن يطيعوا الله باتّباع وصايا الله، وهذا يشمل تعليم الله بشأن كل ناحية من نواحي الثقافة تقريباً.

يمكننا النظر إلى الأمر كما يلي: كما كان على آدم وحواء أن يطيعا الله ويبني المدينة ويساهما في تطويرها من خلال إخضاع الأرض، علينا نحن أن نطيع الله ونبني الحضارة ونساهم في تطويرها بتلمذة الأمم.

ينبغي أن يتّضح لنا من متى 28 أن يسوع كان يتوقّع أن يؤثّر تلاميذه على كلّ حضارة من خلال تعميد المؤمنين وتعليم وصاياهم لكل الأمم. وكانت تعاليمه تتعلّق بقضايا حضارية ثقافية عامّة جداً، مثل الفقر والنواحي المالية والصّحة والعدل والعزق والسياسة، وحتّى دفع الضرائب. ولذا نجد أسفار العهد الجديد تتطرق إلى قضايا ثقافية واسعة جداً.

انسجماً مع هذه الحقيقة، يتكلم يسوع في متى 5: 13-14، واصفاً تلاميذه بجرأة بأنهم:

**مِلْحُ الْأَرْضِ... نُورُ الْعَالَمِ (متى 5: 13-14).**

وكما أظهر التاريخ مراتٍ عديدة، فإنّه حين يلتزم تلاميذ يسوع بأمانة وإخلاص تجاه تعليم يسوع الذي أمر به كلّ أمة، تكون لدينا فرصة التأثير الإيجابي على كل الجوانب الثقافية في كل العالم. ولهذا، فإنّه ينبغي لتطبيقنا المعاصر للكتاب المقدس أن يختصّ بكلّ جوانب الحضارة البشرية.

في متى 5، يقول يسوع لتلاميذه إنّ عليهم أن يكونوا ملح الأرض ونور العالم. وبالنسبة للقارئ المعاصر، تنطوي هذه الجملة على شيءٍ من الغموض وعدم الوضوح. ولذا علينا أن نسأل عمّا عنته هذه الكلمات بالنسبة للقراء الأصليين الذين كانوا يعيشون في الحضارة التي أُعلن فيها الكتاب المقدس. كان الملح يُستخدم لحفظ الموادّ الغذائية من التعفّن، فكان يُضاف إلى اللحم أو السمك لحفظه، كما كان يضيف نكهةً للطعام. وفي ما يتعلّق بالمسيحيين المؤمنين، فإنّ عليهم أن يؤثّروا بالعالم، إذ ينبغي أن يعبروا عن حضور البرّ بطرقٍ كثيرة، وعن حضور حقّ الله. والنور يقدم هذه الصورة أيضاً. يُنظر إلى النور في الكتاب المقدس بصفته صورة للإعلان - أمراً يُعلن الخفيّ. وعلى المسيحيين المؤمنين أن يكونوا في العالم من يعلنون من هو الله، ويذيعون أخباره وكلمته، ويضيئون عتمة العالم بحقّ الله وبرّه وحقيقة من يكون.

—الدكتور روبرت پلمر

في دراستنا للتطبيق المعاصر للحضارة الكتابية رأينا أهمية الحضارة بالنسبة لأتباع المسيح اليوم. ونريد الآن أن ننظر إلى موضوعنا الثاني: كيف ينبغي لوجود نموذجين حضاريين متعارضين أن يؤثّر في تطبيقنا المعاصر للكتاب المقدس؟

## نموذجان متعارضان

حين أتى المسيح إلى الأرض، دشّن المرحلة النهائية لانتصاره على الشيطان. ولكنّ هذا الانتصار لن يكتمل إلا حين يعود المسيح في المجد عند اكتمال كلّ الأشياء. وفي هذه الأثناء، وخلال فترة استمرار ملكوته، يستمرّ الجنس البشري مقسوماً ما بين نسل الحية، وهم غير المؤمنين في العالم الذين يتبعون نموذجاً حضارياً معارضاً لله ومتمرداً عليه، ونسل حواء، وهم أتباع المسيح الذين يتبعون نموذجاً حضارياً آخر يتمثّل بعبادة الله وخدمته.

ولكنّ كما كان الأمر في الفترة الكتابية، فإنّ الخطّ الفاصل بين شعب الله والعالم ليس خطأً مُطلقاً. فالى أن يعودَ المسيح، سيستمرّ شعبه على الأرض في صراعٍ مع تأثيرات الخطية الباقية. ونحنُ المؤمنون أحرارٌ من سلطان الخطية، ولكننا لسنا أحراراً من تأثيرها. وفي الوقت نفسه، فإنّ نعمة الله العامّة لا تزال تضبط العالم وتكبح جماح الخطية فيه، إذ حتّى غير المؤمنين كثيراً ما يعيشون بدرجةٍ ما بطريقة منسجمة مع إرادة الله. وهذا ينطبق بشكلٍ خاصّ على الأمم التي أثّرت فيها بشارة الإنجيل بقوة.

علينا نحنُ أتباع المسيح أن نسلك مسارات ثقافية تتسجم مع إرادة الله وتتجنب التوجّهات الثقافية التي تخالفها. وفي بعض الأحيان، ينبغي أن تكون المسارات التي نسلكها مختلفة تماماً عن نهج العالم. وقد حدّر كُتّاب الكتاب المقدس مراتٍ كثيرة قراءهم الأصليين من عبادة الأوثان والفساد الجنسي والأنانية والطمع والظلم ومجموعة كبيرة من الشرور الثقافية. حينما نرى هذه الشرور في أيّامنا، علينا الابتعاد عنها والسّير في غير طريقها.

ولكن في أحيانٍ أخرى شجّع كُتّاب الكتاب المقدس قراءهم الأصليين على أن ينتبهوا لتأثير النعمة العامة على النواحي المختلفة للعلاقات الاجتماعية والتكنولوجية والفن والموسيقى والهندسة والقانون والسياسة. ففي كلّ مرّة نجد فيها مُصادقة من الكتاب المقدس على الطُرق والمنهجيّات التي عاش بها غير المؤمنين علينا أن نبحث عن تأثيرات نعمة الله العامة نفسها على حضارات عالمنا اليوم. فطالما نحنُ أمناء ومخلصون لتعاليم الكتاب المقدس، علينا أن نصادق بكلّ حرّية وتأكيد على بركات النعمة العامة التي نراها في العلوم والفنون والسياسة والنواحي الأخرى في الحياة.

قد يصعب علينا أحياناً أن نعرف كيف تنطبق النماذج الثقافية الحضارية الواردة في الكتاب المقدس على أيّامنا. ولكن بشكلٍ عامّ، علينا أن نضع في حسابنا الطريقة التي بها وجّه الله الأبعاد والعناصر المختلفة في الكتاب المقدس. وحين ننظر إلى كل ما يُعلنه الكتاب المقدس عن الأبعاد المختلفة للحضارة، نكتشف

أربعة طرق على الأقل وجّه فيها الرب النماذج الحضارية. فنراه يصادق مصادقةً دائمةً على بعض الأنماط، مثل الزواج والعمل. ونراه يصادق على بعض الأنماط الثقافية مُصادقةً مؤقتةً فقط، مثل التنظيم الذي اتّبعه شعب إسرائيل خلال خروجه من مصر وسيره نحو كنعان. وفي بعض الأحيان، نرى الله في تمهله وصبره تجاه الخطاة يتسامح تسامحاً مؤقتاً مع بعض الأنشطة والممارسات الحضارية الثقافية عند شعبه، مثل تعدّد الزوجات والعبودية، مع أنّه لم يكن يصادق عليها أو يقبلها. وطبعاً، نجد في الكتاب المقدّس أنماطاً ونماذج حضارية ثقافية وضع الله عليها ختم الرفض الدائم، مثل الظلم وعبادة الأوثان.

وبكلمات أخرى، لتطبيق النماذج والأنماط الحضارية التي ترد في الكتاب المقدّس على حياتنا، علينا أن ننظر إلى تقييم الله وموقفه في المقطع نفسه. وبعد ذلك، علينا أن نبحث عن المعايير الأخلاقية المتعلقة بتلك النماذج الحضارية في مقاطع كتابية أخرى، لنتمكّن من تحديد الدوافع والأهداف الكامنة وراء تلك العناصر الثقافية التي نراها في الكتاب المقدّس. بهذه الطريقة يمكننا أن نميّز الأشكال الحضارية الواردة في المقاطع الكتابية التي تمثّل النموذجين الحضاريين المتعارضين، نموذج عبادة الله وخدمته ونموذج التمرد على الله. وحين نتمكّن من عمل هذا، سنكون قادرين على تطبيق الأنماط والأشكال الحضارية المناسبة والصحيحة الواردة في الكتاب المقدّس على عالمنا المعاصر.

بعد أن نظرنا إلى التطبيق المعاصر في ضوء أهمية الحضارة، وإلى النموذجين الحضاريين المتعارضين في عالمنا اليوم، نأتي الآن للنظر إلى الموضوع الثالث: كيف ينبغي أن نتعامل مع التنوع الحضاري في تطبيقنا للكتاب المقدّس في أيّامنا هذه؟

## التنوع

حين نزورُ المؤمنين في مناطقٍ مختلفةٍ من العالم، نلاحظُ بوضوحٍ أن لغاتنا، وثيابنا، وأنظمتنا الغذائية، وموسيقانا، وغيرها من العناصر الثقافية، تختلفُ اختلافاً كبيراً. لكن، ما سببُ هذا الاختلاف؟ فإنّ كلّنا جميعاً نسعى لاتباع معايير الكتاب المقدّس، فلماذا تسيرُ أنماطنا الحضارية في عدة اتجاهاتٍ مختلفة؟ في الواقع، لا حاجة للقول، أن بعض الفروقات الموجودة، هي لأننا جميعاً نفسلُ في العيش بطريقةٍ، تتوافق مع تعاليم الكتاب المقدّس. وبغض النظر عن إخفاقاتنا، توجدُ أسبابٌ مشروعةٌ كثيرةٌ، لتوّع التنوع الحضاري، وسط شعبِ الله في العالم.

كما رأينا، فإنّه بتدشين حقبة العهد الجديد، لم يُعد شعب الله أمةً قوميةً واحدة. فعبر الألفي سنة الماضية، وبامتداد بشاراة الإنجيل ووصولها إلى كلّ أنحاء العالم، واجه شعب الله تحدّي العيش للمسيح في

حضارات متنوّعة وتزداد تنوّعاً. ويثير هذا التحديّ مسألةً مهمةً. ما مقدار التنوّع الحضاري الثقافي الذي ينبغي أن نسمح به؟ ما الحدود التي ينبغي أن نضعها؟

ثمة مقاطع كثيرة في الكتاب المقدس تعالج هذه المسألة، ولكنّ أفضل هذه المقاطع التي تخوض في هذا الموضوع 1 كورنثوس 9: 19-23. يخاطب الرسول بولس كنيسة كورنثوس في هذا المقطع قائلاً:

فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرّاً مِنَ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِجَمِيعِ الْأَرَبِجِ الْأَكْثَرِينَ. فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيْهُودِيٍّ لِأَرَبِجِ الْيَهُودِ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لِأَرَبِجِ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِبِلَا نَامُوسٍ لِلَّهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ لِأَرَبِجِ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ. صِرْتُ لِلضُّعْفَاءِ كَضَعِيفٍ لِأَرَبِجِ الضُّعْفَاءِ. صِرْتُ لِلْكَلِّ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَخْلِصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا. وَهَذَا أَنَا أَفْعَلُهُ لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ، لِأَكُونَ شَرِيكًا فِيهِ (1كورنثوس 9: 19-23).

يصف الرسول بولس في هذا المقطع كيف أن التزامه بأن يتمّ تفويض بشارة الإنجيل قاده إلى أن يتبع طيفاً واسعاً من المفاهيم والسلوكيات والميول الثقافية. وهو يلخص موقفه هذا في العدد الحادي عشر: "صرْتُ لِلْكَلِّ كُلِّ شَيْءٍ لِأَخْلِصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا".

كان بولس كثير الترحال إلى أماكن عديدة، ولذا كان عليه أن يمارس قدرًا كبيراً من المرونة الثقافية. وفي العدد 20 يقول إنه "صار للذين تحتّ الناموس كأنه تحت الناموس" حين كان يخدم في المجتمعات اليهودية. وفي العدد 21 يقول إنّه صار "كأنه بلا ناموس" حين كان يخدم في المجتمعات غير اليهودية.

ولكنّ لاحظوا أنّ الرسول بولس رسم حدوداً للتنوّع الحضاري الذي كان مستعداً لقبوله. قال في العدد 20: "صرْتُ... للذين تحتّ الناموس كأني تحتّ الناموس (مع أنني لسْتُ تحتّ الناموس)". وبكلمات أخرى، مع أن بولس تبع بعض الأنماط الحضارية السائدة في المجتمعات اليهودية، لكنّه لم يكن مُلزماً بحفظ الناموس بالطريقة التي كان رجال الدين في زمنه يفهمونه بها. فمعظم الفريسيين ورجال الدين في زمن بولس كانوا يستخدمون الناموس فقط للتفاخر ببرّهم الذاتي. ولكنّ، سبق ليسوع أن أشار في متى 23 إلى أن هذا السلوك يؤدّي إلى الدينونة والموت. وهنا، يوضح الرسول بولس أنّه اعتنق مظاهر ثقافية من دون اعتناق المقاييس الثقافية التي يمكنها في النهاية أن تجعله تحتّ دينونة الله.

ويعبّر في العدد 21 عن موقفٍ مشابه، إذ يقول: "صرْتُ... للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أنني لسْتُ بلا ناموس لله، بل تحتّ ناموس المسيح". فكان بولس يشارك المجتمعات الأممية في مفاهيمهم وسلوكياتهم وعواظهم الثقافية، لكن ضمن الحدود التي لا تتجاوز ناموس الله الذي شرحه يسوع المسيح لشعبه

– شعب العهد الجديد.

وبطريقة مشابهة جداً، لتنظيم تفويض بشاراة الإنجيل اليوم، أو المأمورية العظمى، على أتباع يسوع الأمناء أن يكونوا مستعدين لتطبيق الكتاب المقدس بطرقٍ مختلفة حين يواجهون أناساً من خلفيات حضارية مختلفة وظروفاً مختلفة. فالكنائس المحلية والأعمال المسيحية والمدارس المسيحية والمستشفيات المسيحية بل وحتى علاقات الصداقة ستكون مختلفة بعضها عن بعض. وطبعاً بمرور الزمن، ستتغير هذه المجتمعات، وسيتغير الناس والظروف المرتبطة بهذه المجتمعات أيضاً.

ولكن هذا لا يعني أنّ لدينا الحرّية لتشكيل ثقافات مجتمعاتنا بالطريقة التي نريد. بل علينا أن نشابه الرسول بولس. فعلى أتباع المسيح أن يلتزموا بالحياة والعمل ضمن معايير الكتاب المقدس. وهذا الالتزام بالأمانة والإخلاص تجاه تعاليم الكتاب المقدس بينما نطبّقها بطرقٍ مختلفة في مجتمعاتنا أحد أكثر نواحي التطبيقات المعاصرة لكلمة الله تعقيداً.

يُعلن الله لنا عن نفسه بالزمان والمكان. وهذا جزءٌ من مجد إعلانه ومجد خطته للفداء. وفي انتقالنا من حقبة العهد القديم إلى حقبة العهد الجديد، واضح أننا نتفاعل مع حضارات وثقافاتٍ متنوعة، ومع أناسٍ في حقباتٍ مختلفة من الزمن. فثمة أشكالٌ عديدة للتنوع الحضاري- الثقافي الذي نراه مرتبطاً ببعض الأحداث في التاريخ وبعض الأماكن في الخلفيات الثقافية. فكيف نعرف أي تنوع ينطبق علينا – أي كيف ينبغي أن يُعاش؟ أعتقد أن أول أمرٍ علينا عمله هو أن نقيم التنوع ضمن إطار معايير ومتطلبات أخلاقية مُعيّنة. وثمة أنماط حضارية ينبغي رفضها لأنها لا تنسجم مع معايير الله الأخلاقية. فمع أن هذه الممارسات قد تعكس تنوعاً ثقافياً، فقد تشتمل على عبادة أوثان ورفضاً لله ومعاييره.

—الدكتور ستيفن ولم

عبر التاريخ الكتابي، حافظت كل جماعة من شعب الله الأمين على نماذج وأنماط حضارية مُعيّنة. ولكن بعض الأنماط والنماذج الحضارية تغيرت عبر الزمن. إحدى الطرق الممكنة أتباعها لتحديد مدى ضرورة أتباعنا أي نمطٍ أو نموذجٍ حضاري نجده في الكتاب المقدس هي بالتحقق من بقاء نمط حضاري مُعيّن عبر الكتاب المقدس أو تغييره للتكيف مع شعوبٍ أو حقباتٍ أو ظروفٍ مختلفة.

فإن كانت النماذج والأنماط الحضارية تتغير في الكتاب المقدس، فعلينا أن نتوقع أن تكون متغيرة



في زمننا أيضاً. ولكن إن بقيت بعض نواحي الحضارة كما هي دون تغيير عبر التاريخ الكتابي، فعلينا أن نعتبرها معيارية لنا اليوم.

فمثلاً، تغيّرت البنى العائلية والأوضاع الحياتية عبر الألفي سنة الماضية، ولكن الكتاب المقدس يعلم باستمرار بضرورة إطاعة الأولاد لوالديهم. وهذا الأمر لا يزال ينطبق على أيامنا هذه. ومع أنّ الأنماط القانونية كانت تختلف من ثقافة لأخرى، ومن حقبة زمنية لأخرى، لم يغيّر الكتاب المقدس حقيقة أنّه يتوقّع من شعب الله أن يكونوا شهوداً صادقين حين يُطلب منهم تقديم شهادةٍ ما. تغيّرت الأنظمة السياسية وشكل الثياب والموسيقى والأطعمة وجوانب أخرى كثيرة في الحضارة عبر التاريخ الكتابي، ولكن وصية إكرام الله وخدمته في عائلتنا وأماكن عملنا ومجتمعاتنا بقيت ثابتةً دون تغيير.

علينا، نحن أتباع المسيح، أن نحرص على تمييز الأمور المستمرة والأمور غير المستمرة في كلّ مرةٍ نطبق فيها نموذجاً حضارياً ثقافياً مُعيّناً يرد في الكتاب المقدس على أيامنا.

## الخاتمة

استكشفنا في هذا الدرس عدة أبعاد ونواحٍ مهمة في موضوع الحضارة الكتابية والتطبيق المعاصر. فنظرنا إلى الأساسات الكتابية للحضارة في الفصول الأولى في الكتاب المقدس. ونظرنا إلى التطوّرات الكتابية التي حصلت في العهدين القديم والجديد. كما نظرنا إلى الكيفية التي بها ينبغي للنواحي الثقافية في الكتاب المقدس أن تؤثر بتطبيقنا المعاصر للكتاب المقدس.

يوضّح الكتاب المقدس نفسه، أنّه على أتباع المسيح المُخلصين، أن يطبقوا تعاليم الكتاب المقدس، ليس فقط على أنفسهم كأفراد، بل وعلى الأبعاد الثقافية لحياتهم أيضاً. فحتّى خلال حقبة العهد الجديد، لا نزال صورة الله، وقد دُعينا لنبني الحضارة البشرية، بطرقٍ تُرضي الله. وسيستمرّ هذا التفويضُ ساريةً إلى عودة المسيح. ولهذا، علينا أن نتعلّم، كيف نطبق الكتاب المقدس، على كلّ بعدٍ، للحضارة المعاصرة.